بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَجَلِّيَاتٌ مِنْ سُورَةِ الإِسْرَاءِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، رَفَعَ قَدْرَ نَبِيِّهِ الهَادِي الأَمِينِ، وَأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، هُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقُوا اللهَ –عِبَادَ اللهِ–؛ فَقَدْ فَازَ مَنِ اتَّقَاهُ، وَخَسِرَ مَنْ عَصَاهُ ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[1].

أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ:

إِنَّ القُرْآنَ الكَرِيمَ كِتَابُ اللهِ الخَالِدُ، وَرِسَالَتُهُ الكَامِلَةُ إِلَى النَّاسِ، وَمَا أَرَادَ اللهُ لَهُ الخُلُودَ وَالأَبَدِيَّةَ أَنْزَلَهُ فِي كِتَابِهِ، وَإِنَّ أيَّ حَدَثٍ مِنَ الأَحْدَاثِ الجَلِيلَةِ الَّتِي تَتَوَقَّفُ عَلَيْهَا العِبْرَةُ وَالعِظَةُ، وَاسْتِلْهَامُ الدُّرُوسِ وَالحِكَمِ، وَاسْتِجْلاءُ المَرَاشِدِ وَالأَحْكَامِ، قَدْ ذَكَرَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَلِذَلِكَ كَانَ لِزَامًا عَلَى الأُمَّةِ أَنْ تَسْتَفْرِغَ جُهْدَهَا فِي دِرَاسَةِ تِلْكَ الأَحْدَاثِ، وَتَفْرِيغِهَا فِي قَوَالِبَ مُنَاسِبَةٍ لِلْفِئَاتِ المُتَنَوِّعَةِ: مِنَ الكِبَارِ وَالصِّغَارِ، وَالرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، وَالمُسْلِمِينَ وَغَيْرِ المُسْلِمِينَ؛ لأَنَّ القُرْآنَ رِسَالَةُ اللهِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ تَصِلَ إِلَى كُلِّ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ؛ فَلَيْسَتْ حِكْرًا عَلى أَحَدٍ دُونَ أَحَدٍ، وَقَدْ قَالَ اللهُ جَلَّ جَلالُهُ: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾[2]، فَالقُرْآنُ الكَرِيمُ هُوَ البَيَانُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ بَيَانٌ، وَالهُدَى الَّذِي لَيْسَ مِثْلُهُ هُدًى، وَالمَوْعِظَةُ الَّتِي لا تُشَابِهُهَا مَوْعِظَةٌ، وَإِنَّ مِنْ أَبْلَغِ القَوْلِ فِي وَصْفِ القُرْآنِ الكَرِيمِ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ: ((فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، وَهُوَ الفَصْلُ لَيْسَ بِالهَزْلِ)).

(١) سورة المائدة/ ٢٧.
(٢) سورة آل عمران/ ١٣٨

وَإِنَّ مِنْ أَعْجَبِ العَجَبِ – عِبَادَ اللهِ – أَنْ يَمْضِيَ عَلَى الإِنْسَانِ يَوْمٌ وَلا يَقِفُ عِنْدَ آيَةٍ مِنْ آيَاتِهِ، أَوْ سُورَةٍ مِنْ سُوَرِهِ، يَتْلُوهَا وَيَسْتَنْطِقُهَا لِتَكُونَ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا، وَتَنْزِلَ عَلَى قَلْبِهِ هُدًى وَضِيَاءً، وَكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِ بِأُسْرَةٍ، إِلاَّ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ مَعَهُمْ بَرْنَامَجٌ لِتِلاوَةِ القُرْآنِ وَتَدَارُسِهِ، وَغَرْسِ حِكَمِهِ وَأَحْكَامِهِ، وَحَسْبُهُمْ – لَوْ فَعَلُوا ذَلِكَ – أَنَّ السَّكِينَةَ تَنْزِلُ عَلَيْهِمْ، وَالرَّحْمَةَ تَغْشَاهُمْ، وَالمَلائِكَةَ تَحُفُّهُمْ، وَأَنَّ اللهَ يَذْكُرُهُمْ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَلَوْ جَعَلَ كُلُّ إِنْسانٍ لِنَفْسِهِ وَأَهْلِهِ شَيْئًا مِنَ الوَقْتِ يَتَفَيَّأُ ظِلالَ القُرْآنِ، وَيَتَنَفَّسُ مِنْ هَوَائِهِ الَّذِي لا تَشُوبُهُ شَائِبَةٌ، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهِ الصَّافِي الَّذِي لا يَتَكَدَّرُ صَفَاؤُهُ، لَكَانَ لِلأُمَّةِ شَأْنٌ أَيُّ شَأْنٍ، وَلِلأَخْلاقِ فِي الإِنْسَانِيَّةِ مَكَانٌ أَيُّ مَكَانٍ، وَلَذَهَبَتْ كَثِيرٌ مِنَ العَادَاتِ الَّتِي لا تَتَّصِلُ بِالإِسْلامِ، وَالأَخْلاقِ الَّتِي حَذَّرَ مِنْهَا النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، فَاللهَ اللهَ، أَيُّهَا المُسْلِمُ، فِي نَفْسِكَ وَأَهْلِكَ، وَاللهَ اللهَ، أَيُّهَا المُرَبُّونَ وَالمُعَلِّمُونَ، فِيمَنْ تُرَبُّونَهُمْ وَتُعَلِّمُونَهُمْ، نَشِّئُوهُمْ عَلَى القُرْآنِ، وَحَبِّبُوا إِلَيهِمْ تِلاوَتَهُ وَمُدَارَسَتَهُ، وَاسْتَعْمِلُوا فِي سَبِيلِ ذَلِكَ الوَسَائِلَ الَّتِي تُعِينُ، وَالأَسَالِيبَ الَّتِي تَنْجَحُ.

وَمَتَى مَا كَانَ ذَلِكَ – أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ – صَلَحَتِ الأَحْوالُ، وَحَسُنَتِ الأَخْلاقُ، وَاسْتَنَارَتِ البَصَائِرُ، وَتَحَقَّقَتْ هِدَايَةُ اللهِ الَّتِي جَعَلَهَا فِي الكِتَابِ الَّذِي لا رَيْبَ فِيهِ فِي القُلُوبِ، وَصَلَحَ الجَسَدُ، وَكَانَ القُرْآنُ الكَرِيمُ هُوَ المُحَرِّكَ وَالمُوَجِّهَ، وَرَأَيْنَا القُرْآنَ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ؛ ظَاهِرًا فِي صَمْتِ النَّاسِ وَكَلامِهِمْ، وَحَرَكَتِهِمْ وَسُكُونِهِمْ، وَبَيْعِهِمْ وَشِرَائِهِمْ وَأَخْذِهِمْ وَعَطَائِهِمْ، وَكَانَتْ صِحَّةُ النَّاسِ النَّفْسِيَّةُ فِي أَعْلَى المُسْتَوَيَاتِ، وَسَلامَةُ القُلُوبِ فِي خَيْرِ الدَّرَجَاتِ، وَاسْمَعُوا نِدَاءَ رَبِّكُمْ لَكُمْ؛ فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ، قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[1].

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا:

إِنَّ مِنَ الحَوَادِثِ الَّتِي خَلَّدَهَا القُرْآنُ العَظِيمُ، وَأَرَادَ اللهُ لَهَا أَنْ تَحْيَا فِي القُلُوبِ وَتَخْلُدَ فِيهَا خُلُودَ القُرْآنِ الكَرِيمِ، حَادِثَةَ الإِسْرَاءِ وَالمِعْرَاجِ، وَالعَجَبُ مِنْ حَالِ مَنْ يَذْكُرُ هَذِهِ الحَادِثَةَ مَرَّةً كُلَّ سَنَةٍ وَيَغْفُلُ عَنْهَا سَائِرَ العَامِ، وَمَنْ تَأَمَّلَ آيَةَ سُورَةِ الإِسْرَاءِ فِي حَادِثَةِ الإِسْرَاءِ، وَآيَاتِ النَّجْمِ

(١) سورة يونس/ ٥٧ - ٥٨.

فِي حَدَثِ المِعْرَاجِ، أَدْرَكَ أَنَّ الإِسْرَاءَ وَالمِعْرَاجَ مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ قُدْرَةِ اللهِ، وَكَأَنَّهُ يَقُولُ لِلْمَخْلُوقِينَ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ ﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ﴾[١]، وَلِذَلِكَ كَانَ افْتِتَاحُ الآيَةِ بِذَلِكَ الأُسْلُوبِ الفَخْمِ ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾[٢]، وَهَلْ يَكُونُ مِثْلُ هَذَا الأُسْلُوبِ إِلاَّ فِي التَّعْجِيبِ مِنْ أَمْرٍ عَظِيمٍ وَحَدَثٍ مُقَدَّسٍ لا يُمْكِنُ أَنْ يُنْسَى!

أَقولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ البَرُّ الكَرِيمُ.

****

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَأَتْبَاعِهِ المُتَّقِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقُوا اللهَ –عِبَادَ اللهِ– وَاعْلَمُوا أَنَّ حَادِثَةَ الإِسْرَاءِ وَالمِعْرَاجِ قَدْ كَانَتْ بَعْدَ مَصَاعِبَ وَمَشَاقَّ مَرَّتْ بِالنَّبِيِّ ﷺ: مِنْ مَوْتِ زَوْجِهِ خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ وَعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ وَاشْتِدَادِ إِيذَاءِ قَوْمِهِ لَهُ، وَتَفَرُّقِ أَتْبَاعِهِ فِي الأَرْضِ فَارِّينَ بِدِينِهِمْ، وَخُرُوجِهِ إِلَى الطَّائِفِ لَعَلَّهُ يَجِدُ مَنْ يَقْبَلُ دَعْوَتَهُ وَيُؤْمِنُ بِهَا، فَلَمَّا اشْتَدَّتِ المِحْنَةُ عَظُمَتِ المِنْحَةُ مُتَحَقِّقًا قَوْلُ اللهِ جَلَّ جَلالُهُ ﴿ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾[٣]، وَقَدْ قِيلَ: لَوِ اطَّلَعْتُمْ عَلَى مَا فِي الغَيْبِ لاخْتَرْتُمُ الوَاقِعَ. وَذَكَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِدَايَةَ الإِسْرَاءِ وَنِهَايَتَهُ؛ فَالبَدْءُ مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ، وَالنِّهَايَةُ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى؛ لِيَكُونَا مِنْ شَعَائِرِ اللهِ الَّتِي يَجِبُ تَعْظِيمُهَا ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾[٤]، وَلِيُؤْذِنَ ذِكْرُهُمَا بِبَقَائِهِمَا مَسْجِدَيْنِ إِلَى أَنْ يَرِثَ اللهُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ﴾[٥].

وَفِي المَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكَ اللهُ حَوْلَهُ صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ بِالأَنْبِيَاءِ؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ

(١) سورة القصص/ ٦٨ .
(٢) سورة الإسراء/ ١
(٣) سورة النساء/ ١٩
(٤) سورة الحج/ ٣٢
(٥) سورة يونس/ ٦٤

نُبُوَّتَهُ النُبُوَّةُ الخَالِدَةُ، وَرِسَالَتَهُ الرِّسَالَةُ الخَاتِمَةُ، مُتَحَقِّقًا قَوْلُ اللهِ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِىۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَاۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾(١)، وَمِنْ هُنَاكَ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاوَاتِ العُلَى، فَكَانَتْ مَنْزِلَتُهُ ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾(٢)، فَوَصَلَ إِلَى مَقَامٍ لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ أَحَدٌ مُتَحَقِّقًا قَوْلُ اللهِ فِيهِ: ﴿ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾(٣)، فَرَأَى جِبْرِيلَ فِي المَكَانِ الَّذِي لا يَتَجَاوَزُهُ، وَجَاوَزَهُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى مَكَانٍ فَوْقَهُ، يَقُولُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ، عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ، عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ، إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ، مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾(٤)، نَعَمْ ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ، لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾(٥).

هذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ الأَمِينِ، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ بِذَلِكَ حِينَ قَالَ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (٦) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وسَلَّمتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وعَنْ جَمْعِنَا هَذَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلا تَدَعْ فِينَا وَلا مَعَنَا شَقِيًّا وَلا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلامَ وَاهْدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَقِّ، وَاجْمَعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الخَيْرِ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلامَ وَالأَمْنَ لِعِبادِكَ أَجْمَعِينَ.

(١) سورة آل عمران/ ٨١.
(٢) سورة النجم/ ٩.
(٣) سورة النساء/ ١١٣.
(٤) سورة النجم/ ١٣ - ١٧
(٥) سورة النجم/ ١٧ - ١٨.
(٦) سورة الأحزاب: ٥٦.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا ذَا الجَلالِ وَالإِكْرَامِ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَستَجِيرُ، وَبِرَحْمَتِكَ نَستَغِيثُ أَلاَّ تَكِلَنَا إِلَى أَنفُسِنَا طَرفَةَ عَينٍ، وَلاَ أَدنَى مِنْ ذَلِكَ، وَأَصلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ يَا مُصلِحَ شَأْنِ الصَّالِحِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ العَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوفِيقِكَ، وَاحفَظْهُ بِعَينِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وكُلِّ أَرزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِكُلِّ مَنْ آمَنَ بِكَ، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.